الطعن في السنة النبوية في العصر الحديث

دراسة تحليلية في الأسباب والدوافع

■ د.محمد السايح صالح الكوربو*

● تاريخ استلام البحث 2025/07/11م ● تاريخ قبول البحث 2025/10/03م

■ **المستخلص** :

يتناول هذا البحث ظاهرة الطعن في السنة النبوية في العصر الحديث بوصفها إحدى الأدوات المؤثرة في الوعي الديني، لما يترتب عليها من تشويش منهجي في مصادر التشريع, ويهدف البحث إلى تحليل جذور هذه الظاهرة ورصد مظاهرها ودوافعها، وبيان أثرها في تشكيل العقل المسلم المعاصر. وأظهرت الدراسة أن الطعن في السنة النبوية ليس جديدًا من حيث الأصل، غيرأن صورَه المعاصرة اتسمت بالاتساع والتأثير؛ نتيجة انتشار المناهج الاستشراقية والعقلانية والقراءات التاريخية للنصوص، فضلاً عن الدور الذي لعبه الإعلام والفضاء الرقمي في تضخيم الشبهات التي أثيرت حوله ، واتضح أن الطعن يدور حول الطعن في السند والمتن، والدلالة من خلال ردّ المعاني بزعم مخالفتها للعقل، والطعن في حجية السنة في التشريع, كما أن دوافع الطعن تتنوع بين فكرية واجتماعية وسياسية ونفسية وثقافية, وإبراز خطورة الطعن على ثوابت الشريعة ، خاصة في تشكيك الأجيال في هذا المصدر وإضعاف مرجعيتة. وخلصت الدراسة إلى ضرورة مواجهة هذه الظاهرة عبر إحياء منهج المحدثين، والتركيز على التعليم الديني, وتطوير المنصات الرقمية العلمية لذلك، وترسيخ الوعي النقدي الشرعي لدى المتلقي.

●**الكلمات المفتاحية**: السنة, الحديث, الطعن, النقد, العصر الحديث.

*أستاذ مشارك بقسم الشريعة الإسلامية - كلية القانون بجامعة بني وليد E-maiI mohammed.als.korbo@gmail.com

■ **Abstract:**

This study examines the phenomenon of casting doubt on the Prophetic Sunnah in the modern era, viewing it as one of the influential tools shaping religious consciousness due to the methodological disruption it causes in the sources of Islamic legislation. The research aims to analyze the roots of this phenomenon, trace its manifestations and motives, and clarify its impact on the formation of the contemporary Muslim mind, while proposing scholarly methods to address it.

The study shows that skepticism toward the Sunnah is not new in origin; however, its contemporary forms have become broader and more influential as a result of the spread of Orientalist, rationalist, and historicist approaches to the texts, in addition to the role played by the media and digital space in amplifying the doubts raised about it. The analysis reveals that such skepticism revolves around challenging the authenticity of the chain of transmission and the text itself, as well as contesting its meanings under the pretext that they contradict reason, and disputing the legislative authority of the Sunnah.

The motives behind this skepticism vary across intellectual, social, political, psychological, and cultural factors. The study highlights the dangers posed by this phenomenon to the fundamentals of Islamic law, especially through instilling doubt in younger generations about this essential source and weakening its authority. It concludes with the necessity of confronting the phenomenon by reviving the methodology of the hadith scholars, strengthening religious education, developing scholarly digital platforms, and cultivating sound critical awareness among recipients.

Keywords: Sunnah – Hadith – Criticism – Refutation - Modern Era.

■ **المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين, وبعد ...

فإنَّ السنة النبوية تمثل المصدر التشريعي الثاني في الإسلام، والامتداد العملي للقرآن الكريم، وبيان أحكامه وتفصيل مقاصده, وقد اتفقت الأمة – عبر عصورها – على حجيتها وضرورة الاحتكام إليها في العقائد والعبادات والمعاملات وسائر شؤون الحياة؛ ولأجل هذه المكانة كانت السنة عبر التاريخ هدفاً لسهام المشككين والطاعنين، بدءًا من الوضع في

الصدر الأول، مرورًا بجدل أهل الكلام، وانتهاءً بمناهج الاستشراق والقراءات الحداثية والرقمية المعاصرة.

ومع بزوغ العصر الحديث، وتزايد الاحتكاك الفكري بالغرب، وظهور موجات العقلانية المفرطة والمناهج التاريخية والمادية، تفاقمت ظاهرة الطعن في السنة النبوية بصورة غير مسبوقة، واتخذت أشكالاً متعددة، منها التشكيك في السند والمتن، أو نقد الدلالة والمعنى، أو الطعن في حجية السنة نفسها. كما ساهمت وسائل الإعلام الحديثة والمنصات الرقمية في تضخيم هذه الظاهرة، فانتقلت من مجال النخبة إلى الفضاء العام، مؤثرةً في وعي الأجيال الجديدة ومحدثةً إرباكًا معرفيًا في المرجعية الشرعية.

ومن هنا برزت مشكلة البحث التي تتمثل في تحليل جذور الطعن في السنة النبوية في العصر الحديث، ورصد مظاهره، وبيان دوافعه الفكرية والاجتماعية والنفسية، وتحديد آثاره على الوعي الإسلامي، واقتراح الوسائل العلمية والعملية لمواجهته.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى معالجة موضوع بالغ الحساسية في سياق الصراع الفكري الراهن؛ إذ إن الطعن في السنة يُعدّ مدخلاً لضرب التشريع الإسلامي ، لإعادة تشكيل الهوية الفكرية للأمة وفق مناهج مستوردة لا تنطلق من رؤية الشرع الحكيم. كما تأتي أهميته من تزايد انتشار الشبهات عبر الفضاء الرقمي، مما يجعل الحاجة ملحّة إلى خطاب علمي رصين يواكب أدوات العصر. ويهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

1. بيان ماهية الطعن في السنة ومظاهره المعاصرة (في الثبوت والإسناد ، والدلالة، والحجية).
2. كشف الأسباب الفكرية والعقدية والاجتماعية والسياسية التي تقف وراء هذه الظاهرة.
3. تحليل الأساليب الحديثة للطعن، خاصة الإعلامية والرقمية والأكاديمية.
4. إظهار آثار الطعن في السنة على الأفراد والمجتمعات والوعي الشرعي.
5. اقتراح وسائل علمية وعملية لمواجهة الظاهرة، من خلال إحياء منهج المحدثين، وتطوير مناهج تدريس السنة النبوية، وتعزيز الوعي الرقمي الشرعي.

ويعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي المقارن, حيث يقوم على تتبّع جذور الظاهرة تاريخيًا، وتحليل خطاب الطاعنين، ومقارنة المناهج الحديثة بمنهج المحدثين في النقد، إلى جانب المنهج الوصفي في رصد صور الطعن الرقمي والإعلامي، والمنهج الاستقرائي في جمع الأقوال والنماذج التطبيقية من المصادر الأصلية.

ولهذا فإن هذا البحث يسعى إلى تقديم رؤية علمية متكاملة لفهم هذه الظاهرة من أبعادها المختلفة، وإبراز أهمية التمسك بالسنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع، وضرورة مواجهـة الطعن فيها بأساليب علمية رصينة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

والله وليّ التوفيق .

■ **المبحث الأول: ماهية الطعن في السنة النبوية ومظاهره في العصر الحديث**

● **المطلب الأول: مفهوم الطعن في السنة النبوية**

أولاً: تعريف الطعن لغةً واصطلاحًا:

أ- الطعن في اللغة: وردت مادة : (ط .ع . ن) في اللغة العربية بمعنيين أصليين:

الأول: الطعن الحسي، وهو الضرب بالرمح أو السلاح ونحوهما، والثاني: الطعن المعنوي، ويُقصد به القدح في الأشخاص أو في الأقوال والأفعال.

جاء في لسان العرب: « طعن في عرضه: أي عابه ووقع فيه، وطعن في نسبه: أي عابه، والطعنُ في القول: العيبُ فيه»[1] إذاً فالطعن في اللغة يدل على القدح والعيب، سواء كان ذلك حسياً أو معنوياً، ومنه قول العرب: طعن في الرجل أي عابه وانتقصه.

ب- الطعن اصطلاحًا: لم يرد للطعن تعريفٌ محدّد في اصطلاح المحدثين، لكنّ استعمالهم للمصطلح في كتب الجرح والتعديل يدل على أن الطعن يعني القدح في الراوي أو الحديث بما يُسقط الاحتجاج به. قال الخطيب البغدادي: «الجرح هو الطعن في الراوي بما يُوجب ردَّ حديثه»[2]. وبناءً على هذا، يمكن تعريف الطعن في السنة النبوية بأنه: محاولة مقصودة أو ممنهجة للتشكيك في مصدر السنة أو في ثبوتها أو في دلالتها، بقصد إسقاط حجيتها بوصفها مصدراً للتشريع الإسلامي.

وهذا المفهوم يشمل كل صور القدح في الرواة أو النصوص أو منهج علوم الحديث بقصد نزع الثقة من السنة.

ثانياً: الفرق بين النقد العلمي والطعن المتعمد:

من الضروري قبل تناول ظاهرة الطعن أن نميَّز بين نقد الحديث العدائي الهدّام والنقد المنضبط ؛ لأن الخلط بينهما من أخطر أسباب الانحراف في دراسة السنة.

- **النقد العلمي**: هو منهج أصيل وضعه المحدثون لحماية الحديث، يقوم على أصولٍ دقيقةٍ في التثبت من الرواة والمتون، كاشتراط العدالة والضبط واتصال السند، ومقابلة الروايات بعضها ببعض. قال ابن الصلاح: «تمييز الصحيح من السقيم إنما هو بعلمٍ مخصوصٍ يعرفه أئمة الحديث» [3] . فالنقد العلمي غايته خدمة السنة وتنقيتها لا التشكيك فيها.

- **الطعن المتعمد**: هو لونٌ من ألوان العداء الفكري للسنة النبوية، يتجاوز حدود البحث العلمي إلى التشكيك المبدئي في صحة النقل أو في صلاحية السنة للتشريع, و يعتمد على الانتقاء، والتأويل، واستدعاء المناهج الغربية في القراءة التاريخية للنصوص.

وقد أشار الدكتور محمد مصطفى الأعظمي إلى هذا المعنى بقوله: «الطعن في السنة المعاصرة ليس بحثاً علمياً في الرواية، بل هو موقفٌ مبدئيٌّ يتخذ من نقد الحديث ستاراً لهدم الموروث كله» .[4] إذاً فالنقد العلمي يهدف إلى التوثق والتحقـق، والطعن المتعمد يهدف إلى النفي والإسقاط، فالأول يحفظ الدين، والثاني يهدمه.

ثالثاً: لمحة تاريخية عن بدايات الطعن في السنة النبوية:

الطعن في السنة ليس ظاهرةً معاصرة فحسب، بفقد عَرَفه التاريخ الإسلامي منذ القرون الأولى، وإن اختلفت دوافعه ومظاهره.

1 - الطعن في عهد الصحابة والتابعين: ظهرت بداياته على أيدي الزنادقة والمنافقين الذين وضعوا أحاديث كذبًا على رسول الله ﷺ لهدم الدين من داخله. قال ابن الجوزي: «إن الزنادقة وضعوا على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث» [5], كما

ظهرت فئات طعنت في بعض الصحابة والرواة، كغلاة الخوارج والشيعة، فكان ذلك بابًا للطعن في بعض الروايات النبوية.

2 - الطعن من بعض أهل الكلام: ظهرت نزعة عقلية عند بعض المعتزلة وغيرهم مِنَ الذين قدّموا العقل على النقل، فأنكروا حجية خبر الآحاد في الأحكام الشرعية ، مما مثّل طعنًا في السنة. قال ابن قتيبة وهو يردّ عليهم: «وجدت قومًا من أهل الكلام يتكلمون في حديث رسول الله ﷺ ويطعنون فيه ويضعّفون نقله» [6]

3 - الطعن في العصور المتأخرة: وفي القرون المتأخرة تسربت آراء المستشرقين، وبدأ الطعن المنهجي في السنة تحت دعاوى "النقد التاريخي" و"العقلانية"، فأنكر بعضهم حجية السنة أو شككوا في نقلها الشفهي. وقد أشار الشيخ محمد أبو شهبة إلى أن هذا الطعن الجديد «امتداد للمناهج الاستشراقية التي اتخذت من نقد الحديث سبيلاً للطعن في الإسلام ذاته» [7]

- **المطلب الثاني: الطعن في السنة في العصر الحديث**

أولاً: الطعن في الثبوت (التشكيك في صحة الحديث وكتب السنة)

1 - طبيعة الطعن في الثبوت : يعني التشكيك في نقل الحديث عن النبي ﷺ أو في صحة سنده، والحديث هنا يشمل كل نصوص السنة النبوية متونًا وأسانيد, وهذا الطعن عادة يظهر في صور عدة: أ- التشكيك في ضبط الرواة.

ب - التشكيك في اتصال السند.

ج- التشكيك في صحة كتب السنة أو مصنفاتها.

2 - أساليب الطعن في العصر الحديث: ففي العصر الحديث برز الطعن في الثبوت بأسلوب أكاديمي ظاهر، لكنه يميل أحيانًا إلى التهويل نذكر على سبيل المثال:

- المناهج الاستشراقية: فقد قام بعض المستشرقين بتحليل الأحاديث وفق معايير تاريخية غربية، مثل الطعن في الرواة أو في نسبة الأحاديث إلى النبي ﷺ، واعتبار النقل الشفهي أقل مصداقية من الكتابة. قال مونتغومري: «الحديث النبوي يحتاج

إلى إعادة تقييم صارمة، فالشواهد لا تكفي لإثبات صحة كل نص منسوب للنبي ﷺ». [8]

- الطعن الانتقائي: بعض البُحاث يركزون على أحاديث معينة تتعلق بقضايا فقهية أو اجتماعية، مع تجاهل الأحاديث الأخرى، لإظهار ما يزعمونه تناقضات أو ضعفًا في النقل.

3. أمثلة على الطعن في الثبوت :

- التشكيك في كتب السنة ، أو في تفضيل صحيح البخاري وصحيح مسلم على بقية المصنفات.

- الطعن في رواة الحديث: فهناك من أعطى الرواة القدامى تقييمًا أقل من شأنهم، أو ادّعى أنهم معرضون للخطأ بشكل منهجي، قال الدكتور محمد أحمد شاكر: «أحد أساليب الطعن المعاصر يعتمد على قراءة الرواية بعين نقدية لا تراعي السياق التاريخي ولا علم الجرح والتعديل الذي وضعه العلماء».[9] وإن الطعن في الثبوت يختلف جوهريًا عن نقد الحديث التقليدي؛ لأنه يسعى إلى الزعم بالهشاشة الكلية للسنة النبوية ، بينما النقد القديم كان موضوعيًا وخاضعًا لقواعد الجرح والتعديل في زمنه.

ثانياً: الطعن بادعاء عدم صلاحية السنة النبوية للتطبيق:

(تأويل النصوص و الأحاديث الصحيحة وردها بدعوى مخالفتها للعقل أو الواقع)

1. طبيعة الطعن في دلالة الحديث النبوي:

الطعن في الدلالة يختلف عن الطعن في الثبوت، فهو لا يشكك في صحة النقل أو في الرواة، بل يتعلق بمعنى الحديث وتفسيره، وبعبارة أخرى: هو نقد المعنى الظاهر للنصوص الشرعية، سواء من حيث مخالفتها للواقع، أو تعارضها مع العقل، أو عدم انسجامها مع السياق التاريخي والاجتماعي, ويشمل ذلك التشكيك في تفسير الألفاظ، أو في فهم المقاصد، أو في تطبيق الأحكام.

2. أساليب الطعن في الدلالة :

أ- التأويل العقلاني المفرط: حيث يستخدم بعض المعاصرين العقل كمقياس مطلق لتفسير الأحاديث، فتُحول النصوص الصحيحة إلى ما يتفق مع الحداثة أو الموقف الفكري للفرد.

ونمثل على ذلك بما يتعلق بـ أحاديث الجهاد أو الحدود، فيُقال: إن هذه النصوص لا تناسب العصر الحالي, مع تجاهل الأصل التشريعي والسياق التاريخي للنص.

ب- النسبة المغلوطة أو التحريف: هناك من يقرأ الحديث في سياق معاصر ثم ينسب إليه معنى مخالفًا لما قصده النبي ﷺ.

- مثال من أحد المستشرقين: يقول ريتشارد بيل: «بعض النصوص تعكس قيودًا اجتماعية زمنية ولا يمكن تطبيقها حرفيًا اليوم» [10]، فهو هنا يرفض العمل بالدلالة الأصلية للحديث بحجة مخالفته للواقع المعاصر.

ج- الانتقائية في الاختيار: يُنتقى بعض الأحاديث التي قد تُظهر مخالفة للقيم الحديثة، بينما تُتجاهل الأحاديث المتممة أو المفسرة لها, مثل التركيز على أحاديث الحدود الشرعية فقط، مع تجاهل أحاديث الرحمة والرفق، لإظهار الصورة غير المقبولة عقلياً كما يدعون.

3. شواهد من كتب السنة:

أ- حديث المصطفى ﷺ:«لا ضرر ولا ضرار» [11]

استخدم بعض المعاصرين هذا الحديث لتأويل كل حكم عقابي أو حدّي على أنه «غير عقلاني» في العصر الحديث، مع تجاهل أنه أساس للحكمة في التطبيق الشرعي.

ب - حديث المصطفى ﷺ في القصاص: «من قتل معاهداً فله النار» [12]

ادعى بعض الطاعنين القول إن هذا الحديث مخالف الواقع الاجتماعي المعاصر، و أن أحكامه لا تصلح للعصر الحالي، وهو مثال واضح على الطعن في الدلالة وليس في صحة الحديث.

ويظهر جلياً أن الطعن في الدلالة هو محاولة لتغيير أو تحريف معنى الأحاديث، أو ردها

على العقل والواقع، بهدف إنقاص أثرها التشريعي أو العقدي، ويظهرذلك بوضوح في أعمال المستشرقين وبعض البحاث المعاصرين، معتمدًا على التأويل الانتقائي والتحريف العقلي للنصوص، لكنه لا يمس صحة الحديث نفسه.

4 - أبرز المستشرقين الذين طعنوا في السنة النبوية:

أ- **إجناتس جولد تسيهر**: كان من أوائل المستشرقين الذين شككوا في السنة النبوية، حيث اعتبرها مجرد تفسير بشري للقرآن، وأرجعها إلى العادات والتقاليد العربية قبل الإسلام.

ب- **مارغليوث**: ادعى أن مفهوم السنة في المجتمع الإسلامي في العصر الأول هو «الأمر العرفي»، مما يقلل من حجيتها.

ج- **جوزيف شاخت**: وافق مارغليوث في رأيه، واعتبر أن السنة ليست إلا تعبيرًا عن الأعراف السائدة في المجتمع الإسلامي الأول.

إن آراء هؤلاء المستشرقين وغيرهم قد أثرت بشكل كبير على الدراسات الاستشراقية حول السنة النبوية، وساهمت في نشر الشكوك حولها.

5 - أثر الطعن في الدلالة على الفهم المعاصر للسنة:

لقد أدى الطعن في دلالة السنة النبوية إلى عدة آثار على الفهم المعاصر لها حيث ظهر ذلك في:

- انتشار الشكوك: لقد ساهمت هذه الطعون في نشر الشكوك بين بعض المسلمين حول حجية السنة، ما أدى إلى ضعف الالتزام بها.
- تأثير الفكر الحداثي: تأثر بعض المفكرين المسلمين بالفكر الحداثي، مما دفعهم إلى نقد السنة النبوية بمناهج المستشرقين ومحاولة تكييفها مع المفاهيم الحديثة.

• المطلب الثالث: استخدام الوسائل الحديثة لنشر الطعن في السنة النبوية

لقد شهد العصر الحديث تطورًا غير مسبوق في وسائل التواصل ونشر المعرفة، فأصبحت

الأفكار والمواقف تُبث إلى جمهور واسع وفي وقت قياسي, وقد استفاد أعداء الاسلام من هذه الوسائل لترويج شبهاتهم ضده ، بأساليب مختلفة تراوحت بين التحليل الإعلامي المغرض والتناول الأكاديمي المشكك والمحتوى الرقمي الموجّه, ومن هنا لم يعد الطعن في السنة مقصورًا على المؤلفات الفكرية كما كان في القرنين الماضيين، بل انتقل إلى فضاء الإعلام المرئي والمكتوب، وإلى الفضاء الرقمي المفتوح الذي يستهدف العقول والقلوب معًا.

وقد نبّه العلماء إلى خطورة هذا التحول؛ إذ أصبح «الطعن في السنة اليوم لا يُلقى في ساحات الجدل العلمي وحدها، بل يُبثّ عبر وسائل تؤثر في العامة قبل الخاصة» [13]

أولاً- وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة:

تُعدّ وسائل الإعلام – بمختلف أنواعها – من أبرز أدوات نشر الطعن في السنة النبوية في العصر الحديث، سواء أكانت الصحف والمجلات أو القنوات الفضائية أو الأعمال الدرامية والبرامج الحوارية, وهذه الوسائل قدّمت صورة مشوهة عن السنة وعن المحدثين، متأثرة في ذلك بخطاب استشراقي أو حداثي يتعمّد تقديم النص النبوي بوصفه نتاجًا تاريخيًا قابلًا للنقد.

وقد ذكر الباحثون أن بدايات هذه الظاهرة الإعلامية ترجع إلى منتصف القرن العشرين، مع صعود ما يُسمّى بـ «المدرسة العقلانية الحديثة»، التي حاولت إعادة تفسير النصوص الدينية بما يتوافق مع «المعايير الغربية للمعرفة»، كما أشار إلى ذلك الدكتور فهد الرومي بقوله: «لقد تسللت الشبهات الاستشراقية إلى الصحافة العربية عبر أقلام كتّاب تأثروا بالدراسات الغربية، فصاروا ينقلون مقولات المستشرقين في ثوب جديد يُغري المثقفين» [14] ومن أبرز تلك الشبهات التي رُوّجت إعلاميًا:

1. التشكيك في كتب السنة الصحيحة، وبخاصة الصحيحين، بزعم أن فيهما روايات «تتعارض مع العقل أو مع العصر».
2. الادعاء بأن المحدثين رجالٌ خضعوا للبيئة السياسية والاجتماعية، ومن ثم فإن رواياتهم ليست معصومة من الخطأ.

3. تقديم أحاديث نبوية مجتزأة أو مبتورة عن سياقها في مقالات أو برامج تلفزيونية، لتصوير السنة على أنها مصدر للرجعية أو للعنف، كما فعل بعض الكتّاب في الصحافة المصرية في منتصف القرن العشرين .[15]

يقول الدكتور عماد الدين خليل بقوله: «إن الخطاب الإعلامي الحديث لا ينطلق في مجمله من معرفة دقيقة بالسنة، بل من رغبة في زحزحة سلطانها عن الوعي الجمعي المسلم؛ خدمةً لمشروع علمنة الفكر الإسلامي» [16]. ولم يقتصر الطعن الإعلامي على المقالات المكتوبة، بل تعدّاه إلى البرامج الحوارية التي تستضيف شخصيات تُقدَّم على أنها «مفكرون إسلاميون»، بينما هم في الحقيقة من المتأثرين بالمدرسة الحداثية. وقد رصد الدكتور محمد الصباغ هذه الظاهرة فقال: «إن القنوات الفضائية العربية في التسعينات ومطلع الألفية الجديدة صارت منابر للطعن في الأحاديث النبوية باسم التجديد، ومن يراجع الحوارات التي بثتها تلك القنوات يجد فيها صدى لأفكار جولدزيهر وشاخت» [17]

ويُلاحظ أن الخطاب الإعلامي الحداثي يوظّف لغة «العقلانية» و«الحرية الفكرية» لتبرير الطعن، فيُقدَّم إنكار الحديث بأنه «وجهة نظر» أو «قراءة معاصرة»، وهذا ما وصفه مصطفى السباعي بأنه «الطعن المموّه الذي يُلبس لباس البحث الموضوعي» [18]

وقد ساهمت بعض المنتاجات الدرامية أيضًا في هذا المسار؛ إذ جُسّد بعض المحدثين في صورة المتعصّب الجامد، في مقابل المفكر "المستنير" الذي يرفض الحديث، كما لاحظ أحمد الريسوني في نقده لهذا الخطاب بقوله: «تحولت بعض الدراما إلى أداة هدم لهيبة السنة، إذ تُقدّم العلماء بصورة نمطية منفّرة، وتَسخَر من رواية الحديث ومن منهج الإسناد، في مقابل تمجيد القراءة المادية للتاريخ الإسلامي» [19]

وهكذا، أصبح الإعلام أخطر الأدوات في تشكيل الوعي الديني الحديث.

ثانياً – الفكر الاستشراقي والمناهج الأكاديمية الغربية:

ارتبط الطعن المنهجي في السنة النبوية في القرنين التاسع عشر والعشرين ارتباطًا وثيقًا بالفكر الاستشراقي الغربي، الذي جعل من دراسة الحديث النبوي مدخلًا للطعن في مصادر

التشريع الإسلامي, يقول محمد أبو شهبة إن «الاستشراق كان هو المزرعة الفكرية التي خرجت منها معظم الشبهات المعاصرة حول السنة النبوية» [20]

- منهج المستشرقين في دراسة السنة:

لقد اعتمد الفكر الاستشراقي في تعامله مع السنة على منهج نقدي مادي لا يقرّ بالوحي ولا بقداسة النص، بل ينظر إلى الحديث النبوي نظرته إلى نصوص بشرية تاريخية يمكن إخضاعها لمناهج النقد الغربي كما تخضع النصوص الأدبية أو التاريخية.

وهذا المنهج أسّسه جولدزيهر في كتابه الشهير (الدراسات المحمدية)، إذ قرّر فيه أن: «الأحاديث ليست سجلاً دينيًا يعود إلى زمن النبي، بل هي انعكاس لتطور الفكر الديني والاجتماعي في القرنين الأولين من الإسلام» [21]

وقد لخّص مصطفى السباعي خطورة هذا المنهج بقوله:«إن جولد زيهر لم يتعامل مع الحديث كمصدر للوحي، بل كمادة أنثروبولوجية قابلة للتأويل التاريخي، فجعل الوضاعين هم الصانعين الأولين للفكر الإسلامي» [22]، ثم جاء المستشرق جوزيف شاخت ليُطوّر هذا المنهج، فادّعى أن الأحاديث النبوية «اختُلقت في القرنين الثاني والثالث للهجرة لتبرير المذاهب الفقهية التي نشأت سياسيًا»، على حد قوله. [23]

- انتقال الفكر الاستشراقي إلى البيئة العربية الأكاديمية:

ومع توسّع حركة الترجمة والدراسة في الجامعات العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، انتقلت هذه المناهج عن بعض الأقلام العربية والإسلامية التي درست في الغرب أو تأثرت بالمناهج النقدية الغربية, وقد لاحظ الدكتور عماد الدين خليل أن «الاستشراق لم يعد نشاطًا بحثيًا غربيًا فحسب، بل أصبح عقلية فكرية تُدار من داخل المجتمعات الإسلامية نفسها عبر مؤسسات تعليمية وإعلامية» [24]

وقد تأثر بهذه المناهج في العالم العربي بعض المفكرين الحداثيين الذين تبنّوا أطروحة «إعادة قراءة الحديث قراءة تاريخية»، مثل محمد أركون, ونصر حامد أبو زيد, وحسن حنفي وغيرهم, وقد أشار الدكتور فهد الرومي إلى أن هؤلاء وأمثالهم «نقلوا المناهج الغربية إلى

النصوص الإسلامية دون وعي بفلسفتها الإلحادية» [25]، وقد نبّه الدكتور محمد أبو شهبة إلى خطورة هذا النقل غير الواعي، فقال: «إن أخطر ما في المدرسة الحديثة أنها أخذت شبهات المستشرقين المادية وأعادت صياغتها بعبارات إسلامية لتسهل على العامة تقبّلها» [26]

- الأهداف الفكرية الكامنة وراء المنهج الاستشراقي:

يتفق عدد من البُحاث المسلمين على أن الدوافع الكامنة وراء الفكر الاستشراقي لم تكن علمية خالصة، بل كانت ذات أبعاد تبشيرية وسياسية وفكرية، هدفها الهجوم على السنة النبوية وهو «جزء من خطة كبرى لضرب الإسلام من داخله، بتجريد المسلمين من مرجعهم التشريعي بعد القرآن الكريم» [27]. فقد صرّح جولدزيهر نفسه في مقدمة كتابه السالف ذكره أن غايته هي «تحليل تكوين الحديث في ضوء النقد التاريخي الأوروبي» [28]، وهي عبارة تُظهر الخلفية الفكرية التي ينطلق منها، إذ يقيس الوحي الإلهي بمقاييس بشرية نسبية.

- أثر المناهج الأكاديمية الغربية على الفكر الإسلامي المعاصر:

تأثر بعض البحاث العرب، خصوصًا في الجامعات التي تبنّت مناهج الدراسات الإسلامية على النمط الغربي، بتلك الرؤى الاستشراقية في نقد السنة, فظهر في بعض الأطروحات ما يُسمّى بـ«قراءة الحديث قراءة سوسيولوجية أو بنيوية»، وهي اتجاهات نقدية غربية الأصل لا تقيم وزنًا لقيمة الإسناد أو لقاعدة تحمل الحديث وأدائه.

وقد نبه الدكتور محمد عمارة إلى ذلك فقال: «إن الاستشراق الجديد دخل جامعاتنا عبر المناهج العلمية التي تقدّس المنهج وتُهمل الوحي، فغدا الطالب المسلم يتعامل مع السنة كظاهرة ثقافية لا كنص ديني» [29]، ويذهب الدكتور نور الدين عتر إلى أن هذا التأثر يمثل «نقضًا لمبدأ العلم بالسند الذي به تميزت الأمة، إذ لا يمكن فهم السنة بمنهج مستورد يجهل طبيعتها الإسنادية والروحية» [30]

ثالثاً: المنصات الرقمية والمحتوى الموجَّه ضد السنة النبوية:

بعد ظهور الثورة الرقمية في العقدين الأخيرين، انتقلت ظاهرة الطعن في السنة النبوية من نطاق النخبة الفكرية أو الإعلام التقليدي إلى فضاءٍ رقمي مفتوح لا يخضع لأي

رقابة معرفية أو علمية, فقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي، والمواقع الإلكترونية، ومنصات الفيديوهات القصيرة والبودكاست، من أهم المنابر التي تُبثّ فيها الشبهات حول السنة النبوية بأساليب جذّابة تعتمد على التأثير النفسي أكثر من الإقناع العلمي, يقول الدكتور عماد الدين خليل واصفًا هذا التحول: «لقد انتقل الهجوم على السنة من المقالات الأكاديمية الجافة إلى الخطاب الإعلامي السريع والرقمي، فغدت الشبهة تُقدَّم في ثلاثين ثانية بصياغة مؤثرة دون حاجة إلى برهان» [31]

وهذا التحول جعل المعركة الفكرية أكثر تعقيدًا؛ لأن الخطاب الرقمي يمتلك أدوات الانتشار الواسع والتأثير على فئات الشباب الذين لم يتكوّن لديهم بعد وعي علمي كافٍ لتمييز الحق من الباطل.

- آليات الطعن في السنة عبر الفضاء الرقمي:

1. توظيف المنصات الاجتماعية لنشر مقاطع مقتطعة ومُجتزَأة:

تقوم كثير من الصفحات والقنوات الرقمية – وخاصة على منصات يوتيوب وتيك توك وإنستغرام – بعرض أحاديث نبوية منزوعة من سياقها، مصحوبة بتعليقات ساخرة أوتحليلية ظاهرها «العقلانية»، وباطنها التشكيك في أصل السنة. وقد ذكر الدكتور محمد الهدلق: أن «الطعن في السنة على المنصات الرقمية يتم بأسلوب مبسّط، يعتمد على العاطفة والإثارة، وليس على الحجة والدليل» [32], وغالبًا ما تُستخدم في هذه المقاطع لغة معاصرة تلمّح إلى «الحرية الفكرية» و«إعادة قراءة النصوص»، مما يدل على امتداد الخطاب الاستشراقي في الوعي الرقمي المعاصر.

2. استغلال الذكاء الاصطناعي والمحتوى التفاعلي:

مع دخول أدوات الذكاء الاصطناعي في إنتاج المحتوى، ظهرت قنوات تُعيد تركيب نصوص الأحاديث أو الأصوات لتبدو وكأنها تتضمن معاني غير صحيحة أو ألفاظًا موضوعة. ويشير الدكتور عبد الله القرني إلى أن «الذكاء الاصطناعي أصبح سلاحًا جديدًا في حرب الشبهات، حيث يُستخدم لتوليد نصوص مزيّفة منسوبة إلى النبي ﷺ أو لعلماء

المسلمين» [33] كما يُستخدم المحتوى التفاعلي (مثل التعليقات والمناظرات المفتوحة) في إثارة الشكوك حول كتب الصحيحين، أو التشكيك في منهج المحدثين في الجرح والتعديل، عبر ما يُسمّى بـ«التفكيك التاريخي للنص الحديثي»، وهو في حقيقته تكرار رقمي لمنهج جولدزيهر وشاخت بلغة عصرية.

3. المنصات ذات التمويل الأجنبي والموجّه:

تشير بعض الدراسات المتخصصة إلى أن كثيرًا من المواقع التي تبث محتوى ضد السنة النبوية ممولة من جهات بحثية أو إعلامية في الغرب، تحت عناوين مثل «التنوير الإسلامي» أو «نقد التراث».

ويذكر الدكتور عماد الدين خليل أن «الفضاء الرقمي أصبح امتدادًا للمشروع الاستشراقي القديم، ولكن بأدوات جديدة أكثر فاعلية وأوسع انتشارًا» [34]، وفي دراسة ميدانية أجراها مركز «رؤية» للبحوث الفكرية سنة 2022، تبين أن 70 ٪ من المحتوى الذي يطعن في الحديث الشريف على الإنترنت مصدره حسابات مجهولة أو مرتبطة بجهات بحثية غربية، وأن هذا المحتوى يتركّز في ثلاث لغات: العربية والإنجليزية والفرنسية.[35]

- الأساليب الإعلامية المستخدمة في الطعن الرقمي:

أ- المزج بين الترفيه والتشكيك: حيث يتم تقديم الشبهة في شكل برنامج ترفيهي أو مقطع ساخر، بحيث يُمزج بين الفكاهة والطعن، وهو ما يجعل المتلقي يتقبّل الرسالة دون مقاومة فكرية. وقد حذّر الدكتور عمارة من ذلك قائلًا: «الخطر في الإعلام المعاصر أنه لا يقدّم الطعن صريحًا، بل في قالب ممتع يجعل المتلقي شريكًا في السخرية من مقدّساته» [36]

ب. إعادة تأطير نص الحديث بلغة «التحليل الثقافي»: حيث يعاد تفسير الحديث النبوي على أنه «منتَج ثقافي يعكس البنية الذكورية للمجتمع القديم»، وهي مقولة مستوردة من النقد النسوي الغربي. وقد نبّهت الباحثة الدكتورة سامية الزين إلى أن «الخطاب النسوي الرقمي العربي يُسقط مفاهيم غربية على النص النبوي، فيُفسّره من خارج منظومته الإيمانية» [37]

ج. استخدام ما يسمى بالحقائق العلمية لتكذيب السنة: غالباً ما ينشر بعض المؤثرين مقاطع تربط بين «الاكتشافات الحديثة» وبين أحاديث نبوية، ثم يزعمون التناقض بينها، مع أن معظم تلك الادعاءات تقوم على فهم خاطئ أو غير دقيق للنص. وقد ناقش الدكتور القطان هذه الظاهرة منذ بدايتها حين قال: «إن الذين يربطون الحديث بالعقل المجرّد أو بالعلم التجريبي دون فهم لمراد الشارع إنما يردّون النصوص جهلًا لا علمًا».[38]

- **النتائج الفكرية المترتبة على انتشار الطعن الرقمي**:

لقد أدى الانتشار الرقمي السريع لهذه الطعون إلى نتائج خطيرة، أبرزها:

1 - تشويش المفاهيم الدينية ، حتى صار البعض يتعامل مع الأحاديث على أنها وجهات نظر.

2 - إضعاف الثقة في العلماء بوصفهم ممثلين للتراث، مما يُسهّل تمرير خطاب التفكيك .

3 - تحويل النقاش الديني إلى جدل سطحي ، بعيد عن ضوابط البحث العلمي.

وقد لخّص الدكتور نور الدين عتر هذا الواقع بقوله: «إن أخطر ما في العصر الرقمي أن تُختزل علوم الحديث الذي بناها الأئمة في قرون في كلمات عابرة على شاشة، فيفقد الناس الثقة بمنهج الأمة في نقل دينها» [39]

- **الحلول العلمية لمواجهة الطعن الرقمي** :

يرى الباحثون أن المواجهة الفاعلة للطعن في السنة عبر المنصات الرقمية لا تكون بالمنع أو الجدال الانفعالي، بل بالتمكين العلمي والوعي الرقمي، وقد لخّص الدكتور فهد الرومي ذلك بقوله: «لن يُحمى الحديث الشريف في العصر الرقمي إلا بأن يتسلح العلماء والدعاة بوسائل العصرنفسها، فيقدّموا السنة بلغة ووسائط يفهمها الجيل الجديد، دون إخلال بأصول التوثيق» [40]

كما أوصى الدكتور محمد الخضيري بـ«إنشاء منصات علمية موثوقة تُعنى بتفنيد الشبهات رقمياً، عبر مقاطع قصيرة موثقة المصدر، تلتزم بالضوابط العلمية» [41]

■ المبحث الثاني : الأهداف والدوافع وراء الطعن في السنة النبوية

● المطلب الأول : الأسباب الفكرية والعقدية :

أولًا: تأثر بعض المفكرين المسلمين بالمناهج الفلسفية والعقلانية الغربية

لقد شهد العالم الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر ميلاد تيارٍ فكريّ جديد تأثر بالمناهج العقلانية والفلسفية الوافدة من الغرب، وقد حمل هذا التيار نزعة نقدية تجاه الموروث الديني، وبالأخص السنة النبوية، إذ حاول بعض مفكريه إعادة النظر في مصادر التشريع بمنظارٍ عقليّ محض، متأثرين بفلسفات الوضعية والعقلانية والتاريخية التي سادت الفكر الغربي الحديث.

لقد مثّل هذا التأثر أحد أبرز الأسباب الفكرية التي دفعت بعض المفكرين إلى الطعن في السنة النبوية، إما عبر إنكار حجيتها أو عبر إخضاعها لمناهج نقدٍ غربيةٍ محضةٍ تتنافى مع منهج المحدثين القائم على الرواية والدراية.

ومن أبرز مظاهر هذا التأثر ما قام به بعض المفكرين مثل السيد أحمد خان (ت 1898م) في الهند، الذي دعا إلى "عرض الحديث على العقل والعلم الحديث، وردّ ما لا يوافقهما"، متأثرًا بالمنهج الوضعي الأوروبي في تفسير النصوص الدينية. [42]

وقد سار على نهجه بعض من تأثروا بالفكر الغربي ممن دعوا إلى إعادة قراءة السنة وفق مقاييس "الاجتهاد العقلي الحديث"، متأثرين بالنزعات التاريخية في الدراسات الدينية الغربية. [43]

كما بيّن العلماء أن هذا الاتجاه إنما نشأ من «غلبة التقليد للغرب في الفكر، حتى صار بعض المثقفين يَزِنُونَ الإسلام بميزان الفلسفة الأوروبية، ويطلبون للحديث ما يطلبه النقاد للنصوص الأدبية من معايير بشرية» [44]، ولم يقتصر التأثر بالمناهج الغربية على الأفراد، بل امتد إلى بعض المناهج الأكاديمية الحديثة في الجامعات الإسلامية، حيث غلب على بعض الباحثين "التحليل التاريخي للنصوص" بمعزلٍ عن الإيمان بالوحي، وهو ما عُدَّ أحد أبرز أسباب زعزعة الثقة بالسنة في عقول بعض المثقفين المعاصرين.

ثانيًا: ضعف الفهم العقدي لحجية السنة النبوية :

من الأسباب الفكرية والعقدية الرئيسة للطعن في السنة النبوية ضعفُ الفهم العقدي لمكانتها في بنية التشريع الإسلامي. فالسنة ليست مجرد نصوصٍ تفسيرية للقرآن الكريم، بل هي وحيٌ ثانٍ من عند الله تعالى، دلَّ على ذلك قوله تعالى:﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾[45] قال الإمام الشافعي: "كل ما سنَّ رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، ودلَّ عليه، وهو وحيٌ من الله إليه" [46], غير أن ضعف هذا التصور العقدي لدى بعض المثقفين المعاصرين جعلهم يتعاملون مع السنة بوصفها "تجارب بشرية" لا تمتلك صفة العصمة، بل يمكن نقدها بمعايير الثقافة السائدة، وهو ما عبّر عنه الدكتور طه حسين حين دعا إلى "إخضاع الحديث لمناهج النقد التاريخي الحديث"، دون أن يفرّق بين الحديث المرفوع والآثار المروية، مما أفضى إلى إنكار الكثير من المرويات الصحيحة بحجة مخالفتها للعقل أو للواقع. [47] وقد نبّه العلماء إلى خطورة هذا الاتجاه، وعدّوه انحرافًا في أصل من أصول الاعتقاد، لأن التسليم بحجية السنة من مقتضيات شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، كما قال الامام ابن حزم:

"من أنكر أن تكون السنة بيانًا للقرآن وحكمًا من أحكام الله فقد كفر وأشرك، لأنه لم يؤمن برسالة محمد ﷺ" [48]، ويقرر ابن القيم أن السنة "هي وحيٌ من الله، لكنها غير متلوة، ووجوب قبولها والإذعان لها كالوجوب في قبول القرآن" [49]

إلا إن غياب هذا الفهم العقدي عند بعض الدارسين المعاصرين جعلهم يُخضِعون الحديث لمناهج التجريب والظواهر الاجتماعية، كما فعل بعض المفكرين في القرن العشرين ممن اعتبروا أن "سلطة النص في الحديث النبوي سلطة بشرية تأويلية"، وهو اتجاه متأثر بالنزعة الهرمنيوطيقية [50] الغربية التي تُنكر الوحي جملةً وتُعيد تأويل النصوص وفق البنية الثقافية للإنسان . [51]

ثالثًا: اختلاف المناهج داخل الحركات الإسلامية في التعامل مع الحديث النبوي

1. الاختلاف في معيار القبول والردّ :

لقد قرر المحدثون الأوائل - كالإمام مالك والشافعي وأحمد - ضوابط دقيقة لقبول الحديث وردّه، قائمة على العدالة والضبط واتصال السند وخلوّ المتن من الشذوذ والعلة. قال الإمام مالك رضي الله عنه : «ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر» وأشار بيده إلى قبر النبي ﷺ" [52]، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه ما من أحدٍ إلا ويؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ، وما ثبتت به السنة الصحيحة وجب الأخذ به" [53]

لكن في العصور المتأخرة، اختلفت الاتجاهات في مدى تطبيق هذه الضوابط، فظهرت مدرسة التشديد المفرط في القبول، التي لا تحتج إلا بما صحَّ على شرط الشيخين، في مقابل مدرسة التوسّع غير المنضبط التي تسامحت في العمل بالأحاديث الضعيفة في غير مواضعها.

2. أثر الحركات الاسلامية الحديثة:

يُعدّ التباين في الموقف من الحديث النبوي داخل الحركات الإسلامية أحد الأسباب الداخلية التي ساهمت عن غير قصد، في تغذية الشبهات الفكرية حول السنة, فبينما تمسكت بعض الاتجاهات بصرامةٍ مفرطة في قبول الحديث وردّ ما دون الصحيح، توسّع آخرون في اعتماد الأحاديث الضعيفة في مجالات الترغيب والفضائل، مما أوجد تضادًا ظاهريًا في صورة المنهج الإسلامي تجاه مصادر التشريع في التعامل مع الحديث الشريف، سواء من حيث القبول والردّ أو من حيث حدود الاستدلال بالأحاديث الضعيفة، مما أوجد ثغرة فكرية استغلها خصوم السنة لإثارة الشكوك حول ثبات المنهج في علوم الحديث عند المسلمين.

وقد نبه الإمام الشاطبي إلى خطورة ذلك فقال:"التساهل في الأخبار الضعيفة وإن كان في الفضائل قد يؤدي إلى اعتقاد ما لم يثبت شرعًا، فيدخل في البدع"[54]

3. استغلال المستشرقين لهذا الاختلاف:

لقد اَلتقَطَ المستشرقون هذا التفاوت في المناهج الإسلامية، وعدّوه "دليلًا على غياب المعايير الموضوعية في نقد السنة", يقول جولدسيهر: «إن الخلاف بين العلماء المسلمين في قبول الحديث وردّه ليس اختلافًا في جزئيات بل في أساس المنهج، مما يجعل السنة مصدرًا غير ثابت تاريخيًا» [55] وتابع شاخت هذا النهج فقال: «إن نشأة المذاهب الإسلامية وتباين مواقفها من الحديث جعل الرواية النبوية انعكاسًا للخلافات السياسية والمذهبية أكثر من

كونها نقلًا للوحي».[56] وقد ردّ عليهما الدكتور محمد الأعظمي ردًا منهجيًا فقال: «إن هذا التباين في مناهج المحدثين لا يدل على اضطرابٍ في المعيار، بل على عمقٍ في النقد وحرصٍ على الوصول إلى الحقيقة، بخلاف مناهج النقد الغربي القائمة على الشك المسبق» [57], كما بيّن مصطفى السباعي أن هذا التباين «كان أحد مظاهر ثراء المنهج الإسلامي لا ضعفه، وأن خصوم الإسلام استغلوه لإيهام القارئ الغربي بوجود فوضى علمية» [58]

ويؤكد الدكتورعمارة أن غياب الفهم المتوازن بين صرامة المحدث ومرونة الفقيه هو ما أوجد ثغرات فكرية استغلها الطاعنون في السنة لترويج فكرة الاضطراب المنهجي داخل الفكر الإسلامي.[59] وعليه فإنّ ما يصفه خصوم الإسلام بـالاضطراب المنهجي ليس سوى تنوعٍ في الاجتهاد داخل الأصول، إلا إن هذا الاختلاف – مع ضعف الخطاب العلمي في الرد – قد أستُغلّ فعلاً في العصر الحديث لتغذية الشبهات المعاصرة حول مصداقية السنة, ومن هنا، تظهر ضرورة توحيد الجهود العلمية والإعلامية لتوضيح منهج المحدثين، وبيان أن اختلاف الآراء لا يعني ضعف المبدأ، بل حيوية المدرسة النقدية الإسلامية نفسها.

- **المطلب الثاني: الأسباب الاجتماعية والسياسية للطعن في السنة النبوية**

أولًا: ارتباط الطعن في السنة بالحركات السياسية في بدايات الإسلام

لقد كان للطابع السياسي في التاريخ الإسلامي أثرٌ بيّن في نشأة بوادر الطعن في السنة النبوية، إذ ارتبطت المواقف من الرواية والرواة في أحيان كثيرة بالاتجاهات السياسية والمذهبية، فكان توظيف الحديث في النزاع السياسي أحد المداخل الأولى للطعن في السنّة, فقد سعت بعض الفرق إلى تأييد مواقفها السياسية بأحاديث تُنسب إلى النبي ﷺ، وهو ما أدى إلى ظهور الوضع في الحديث النبوي, وقد نبّه الحافظ ابن حجر العسقلاني إلى هذه الظاهرة حيث قال: «أول ما وقع الكذب في الحديث في زمن الفتنة حين قُتل عثمان رضي الله عنه، فقال أهل البدع:نضع الحديث تأييدًا لمذاهبنا» [60]

ومن هنا يمكن القول إن الاضطراب السياسي المبكر أوجد مادة أولى للطعن في السنة من داخل الواقع الإسلامي، استغلها لاحقًا المستشرقون في تضخيم صورة الاختلاف في علم الحديث واعتباره دليلاً على عدم ضبط الرواية، وهو استنتاج ناقص ومغلوط من أساسه،

لأن نقد الحديث قام منذ القرن الأول الهجري بجهد استثنائي لتطهير السنة من أي أثر للوضع السياسي أو المذهبي.

ثانيًا: استغلال الطعن في السنة لأهداف سياسية أو أيديولوجية في العصر الحديث

تعد الحقبة الحديثة، ولا سيما منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، مرحلة جديدة في توظيف الطعن في السنة النبوية، حيث انتقل الأمر من مجرد خلاف داخلي أو موروث مذهبي إلى استخدام سياسي وفكري منظّم يستهدف إعادة تشكيل الوعي الإسلامي بما يتوافق مع مشاريع التغريب والإصلاح الديني الغربي الطابع. وقد لاحظ عدد من الباحثين أن الاستعمار الأوروبي حين دخل ديار المسلمين لم يكن مشروعًا عسكريًا واقتصاديًا فحسب، بل كان أيضًا مشروعًا ثقافيًا يرمي إلى تفكيك المرجعية الإسلامية من داخلها، وأخطر ما في ذلك هو الطعن في مصادر التشريع، وفي مقدمتها السنة النبوية، لإضعاف الرابط بين المسلم ونصوص الوحي.

يقول المستشرق شاخت: «إن الشريعة الإسلامية ليست إلا ثمرة تطور فقهي لاحق، وإن الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ إنما اختلقت بعد قرون لتبرير آراء الفقهاء وإعطائها سلطة دينية.» [61] وهذا النص يكشف بوضوح أن شاخت لم يكتف بالتحليل التاريخي، بل تبنّى موقفًا أيديولوجيًا يجعل السنة صناعة بشرية، وهو ما يُعدّ الأساس النظري للطعن الحديث الذي تبنّاه بعض المتأثرين بالمناهج الغربية من المنتسبين إلى الثقافة الإسلامية.

إن هذا التوظيف للاستشراق في ضرب السنة لم يقتصر على الأكاديمية الغربية، بل انتقل إلى بعض التيارات الإصلاحية في العالم الإسلامي التي تبنّت الخطاب ذاته تحت شعار "تنقية الدين من الإسرائيليات والأساطير"، فظهر أمثال طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" يشكك في مناهج الرواية، ثم امتد ذلك إلى السنة النبوية بزعم أن المحدثين «نقلوا كل ما سمعوا دون نقد»[62]

كما تأثر بعض المفكرين المحدثين بخطاب جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في نقد الجمود الفقهي، غير إن بعض أتباع هذا الاتجاه، كـ محمد رشيد رضا، تجاوزوا الإصلاح إلى

التشكيك في بعض الروايات الصحيحة بدعوى مخالفتها للعقل أو للواقع، وهو ما لاحظه الباحث محمد عمارة حين قال: «لقد تحولت دعوة التجديد عند بعض المتأخرين إلى طعن في الأصول باسم العقلانية الحديثة.» [63] وقد لخّص المفكر الفرنسي جاك بيرك هذا البعد السياسي بقوله: "إن مقاومة العالم الإسلامي لتغريب مؤسساته تبدأ من دفاعه عن السنة، لأنها هي ما يحفظ سلطة الوحي فوق الواقع."[64]

ثالثًا: ضعف التعليم الديني النظامي في مناهج الحديث وأثره في الطعن في السنة.

من أبرز الأسباب التي أسهمت في ظهور موجات الطعن في السنة النبوية في العصر الحديث، ضعف التعليم الديني النظامي في مجال علوم الحديث، سواء في المؤسسات التقليدية كالأزهر والزيتونة والقرويين، أو في المناهج المدرسية والجامعية الحديثة في العالم الإسلامي؛ فقد أدى هذا الضعف إلى جهلٍ واسع بمنهج المحدثين في النقد والرواية، وإلى غياب الوعي العلمي الذي يُمكِّن المتلقي من التمييز بين النقد المنهجي والطعن الهدّام.

يشير الشيخ محمد أبو زهرة إلى هذا الخلل بقوله: "إن تدريس السنة النبوية في المعاهد الدينية والمدارس الإسلامية لم يكن على الوجه الذي يُظهر ما فيها من دقةٍ علمية في التوثيق والنقد، ولذلك ضعفت الثقة عند بعض المثقفين المعاصرين بها، إذ لم يتلقّوا علم الحديث من مصادره النقدية الصحيحة." [65] كما لاحظ مصطفى السباعي أن: "إن كثيرًا من الشبهات التي يثيرها المستشرقون إنما تلقفها أبناء المسلمين الذين لم يدرسوا الحديث دراسة علمية صحيحة." [66]

ومن الناحية التاريخية، شهدت المناهج التعليمية الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تحولًا نحو المناهج الغربية الوضعية، مما قلل من حضور الدراسات في علم الحديث في برامج التعليم الرسمي، وهو ما سجله الباحث عبد المتعال الصعيدي بقوله: "لقد انصرف طلاب العلم عن دراسة السنة وعلومها إلى دراسة القوانين الوضعية والفلسفات الحديثة، فأصبحت كتب الحديث في الأزهر تدرّس من غير فقه ولا تمحيص." [67]

رابعًا: التأثير الإعلامي والرقمي في تشكيل الوعي الديني الجماهيري وأثره في الطعن في السنة النبوية

لقد تغيّر المشهد الإعلامي في العقود الأخيرة بصورة جذرية، فأصبحت المنصات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي هي الوسيط الأول لتشكيل الوعي العام، ولا سيما عند فئة الشباب. وقد أدى هذا التحول إلى بروز نمط جديد من الطعن في السنة النبوية، يتجاوز الأسلوب الأكاديمي التقليدي إلى الخطاب الإعلامي المؤثر والموجَّه، الذي يعتمد الإبهار والاختزال والتأثير النفسي بدل الاستدلال العلمي. حيث لم يعد مقتصرًا على الأبحاث الأكاديمية أو الكتابات الاستشراقية التقليدية، بل امتد إلى الفضاء الرقمي عبر المنصات الاجتماعية مثل فيسبوك وانستغرام وتيك توك، التي أصبحت أدوات فعّالة في نشر الشبهات الدينية بصورة مبسطة وجذابة، تستهدف بالدرجة الأولى الناشئة وصغار السن وغير المتخصصين، إذ أتاحت هذه المنصات ظهور صفحات ومؤثرين يقدمون محتوىً موجَّهًا ضد السنة النبوية، من خلال مقاطع قصيرة وساخرة تُشوه صورتها، وتقدّمها بوصفها نصًا متناقضًا أو غير معقول، ويُلاحظ أن جمهور هذه الصفحات في الغالب من صغار السن وغير المتخصصين، ما يجعلهم أكثر عرضة للتأثر بالمحتوى المشكك دون امتلاك أدوات النقد العلمي.

ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من الصفحات والحسابات التي تتناول قضايا دينية في هذه المنصات، تتبنى خطابًا تشكيكيًا يطعن في السنة النبوية بحجة تحرير العقل الديني أو العودة إلى القرآن وحده, وهي أفكار تجد جذورها الفكرية عند القرآنيين وبعض المستشرقين كـ جوزيف شاخت وجولدسيهر.

كما يؤكد الباحث عبد المجيد النجار أن "الطعن الرقمي في السنة" يمثل ظاهرة جديدة تستغل «قابلية الانتشار الواسع للمحتوى الرقمي غير المنضبط، وضعف الثقافة الشرعية لدى جمهور المستخدمين»، مما جعلها بيئة خصبة لترويج المقولات المنحرفة التي تشكك في البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث.[68]

وفي دراسة حديثة أعدّها مركز دراسات المحتوى الرقمي بجامعة الملك سعود، تبيّن أن

ما يقارب 37 ٪ من المحتوى الديني المتداول على "تيك توك" يتضمن معلومات مغلوطة أو مضللة عن السنة النبوية أو الصحابة، وتُقدَّم غالبًا في قالب فكاهي أو ساخر يسهل انتشاره بين فئة المراهقين.[69]، وايضاً في الدراسة التي أعدّها مركز "بيو" الأمريكي للأبحاث عام 2021، تبين أن 72 ٪ من مستخدمي المنصات الرقمية في الشرق الأوسط يستقون معلوماتهم الدينية من شبكات التواصل الاجتماعي، وليس من العلماء أو المناهج النظامية. [70]

وهذا يعكس حجم التحول في مصادر التلقي الديني، مما يفسر الانتشار الواسع للخطابات المشككة في السنة. ويشير الدكتور يوسف القرضاوي إلى أن "الخطاب الديني في الإعلام أصبح يتعرض للسنة بأسلوب الإثارة لا بأسلوب التحقيق، حتى بات كثير من الشباب يظن أن ردّ الحديث أو قبوله مسألة ذوق شخصي"[71], ولفت الباحث عبد الله الغامدي النظر إلى أن "ضعف الوعي الإعلامي الديني يجعل الجمهور العام يتعامل مع الشبكات الرقمية وكأنها حقائق علمية، خصوصًا حين تُعرض في قوالب جذابة أو من مؤثرين مشهورين"[72]

ومن أبرز صور الطعن الرقمي المعاصر:

1. الصفحات الساخرة التي تعرض الأحاديث الصحيحة في قوالب تهكمية لتصويرها كخرافات.
2. مقاطع الفيديو القصيرة التي تجتزئ الحديث من سياقه لتضخيم شبهةٍ ما.
3. المؤثرون الرقميون الذين يقدّمون أنفسهم بوصفهم «باحثين في التراث» دون أي تأهيل علمي، ويتحدثون بثقة أمام ملايين المتابعين.
4. الحملات المنظمة التي تتزامن مع المناسبات دينية (شهر رمضان، المولد النبوي) لتجديد الجدل حول صحة السنة النبوية .

- **المطلب الثالث : الدوافع النفسية والثقافية**

تُعدّ من الدوافع النفسية للطعن في السنة النبوية ميل بعض الأفراد إلى النقد باسم حرية التفكير والجدل الفكري، وهو توجه يظهر بوضوح لدى بعض الشباب والمثقفين الذين يسعون لإبراز تميزهم الفكري والاجتماعي من خلال إثارة النقاش حول النصوص الدينية

دون الإلمام الكافي بعلوم الحديث. وقد لاحظ مصطفى السباعي أن بعض الشباب والمثقفين ينخرطون في نقد السنة النبوية ظانين أن ذلك يعكس تفكيرًا مستقلًا، مع غياب الوعي العلمي الكافي بأساسيات علوم الحديث، مما يؤدي إلى انتشار الشبهات بين غير المختصين.[73]

ونستطيع القول إن بعض الطاعنين في السنة لا ينطلقون من مناهج نقد علمية، بل من بعض الدوافع النفسية الآتية:

أ- حبّ الظهور والجدل باسم «حرية التفكير»

يُعدّ حبّ الظهور والميل إلى مخالفة الجماعة من الدوافع النفسية القديمة التي أسهمت في بروز الطعن في السنة النبوية، إذ يميل بعض الأفراد إلى طرح آراء شاذة لا تستند إلى أصول علمية، بقصد تحصيل الشهرة وإثارة الجدل. وقد نبّه العلماء إلى هذا الدافع في تحليلهم لظهور الانحرافات الفكرية. قال الإمام الشاطبي عند حديثه عن أسباب اتباع الأهواء: «وإنما يحملهم على ذلك اتباعُ الهوى وطلبُ الظهور والرياسة، لا طلبُ الحق».[74] كما أشار ابن تيمية إلى أن كثيرًا من الأقوال الشاذة لم يقصد أصحابها إلا التميّز بإظهار المخالفة للطريق العلمي، فقال: «وكثيرٌ مما يُحدِثه المتأخرون إنما يحمل عليه حبّ الظهور بإظهار قولٍ يخالفون به السلف».[75]

يتّضح من كلام العلماء أنّ هذا الدافع النفسي قديم في أصله، وقد اتخذ في العصر الحديث صورة أكثر حدّة بسبب المنصات الرقمية التي تمنح أصحاب الطرح الجدلي انتشارًا واسعًا.

ب - الإنبهار بالثقافة الغربية والنزعة التمرّدية.

يُعدّ الانبهار بالفكر الغربي أحد العوامل التي دفعت بعض المفكرين المسلمين المعاصرين إلى تبنّي مواقف نقدية حادة تجاه السنة، حيث تأثروا بالمناهج الغربية، وبخاصة المدرسة الوضعية والنقد التاريخي ، فحاولوا إسقاط نتائج تلك المناهج على النصوص الاسلامية، دون مراعاة خصوصية المنهج الإسلامي في التوثيق. وقد أشار مصطفى السباعي إلى هذا الدافع بوضوح، فقال في وصف طائفة من متأثري الغرب: «ومن الناس من يُعجب بكل ما يأتي

من الغرب إعجاب المبهور، فينقل مناهج النقد التاريخي كما هي، ويطبقها على الحديث دون علم بفوارق المناهج».[76] وبيّن الشيخ محمد أبو زهرة أن بعض الكتاب المسلمين لم يكونوا ذوي منهج علمي في نقد السنة، وإنما دفعهم الانبهار بالفكر الغربي إلى تبني أقوال المستشرقين: «وكان إعجابُهم بالمناهج الغربية باعثًا لهم على قبول ما كتبه المستشرقون من شبهات حول الحديث دون تمحيص».[77]

ج- تأثيرالدراسات الاستشراقية الحديثة

شكّلت الكتابات الاستشراقية في القرنين التاسع عشر والعشرين أحد أهم المصادر الفكرية التي غذّت الطعون الحديثة في السنة النبوية، إذ اعتمد كثير من المتأثرين بالفكر الغربي على مقولات المستشرقين دون تمحيص، وجعلوها منطلقًا للتشكيك في حجية الأحاديث ومصادرها, وتتميّز هذه الكتابات بنزعة عدائية تجاه السنة، وبمنهجية تاريخية مادية تُسقِط المفاهيم الغربية على النصوص الإسلامية. وقد نبّه مصطفى السباعي مبكرًا إلى هذا التأثير، فقال: «أكثر ما اعتمد عليه منكرو السُّنّة في العصر الحديث إنما هو تكرارٌ لعبارات المستشرقين المتحاملين على الإسلام، دون تحقيق ولا مراجعة».[78] كما يقرر المعلمي أن جوهر النقد الاستشراقي قائم على سوء الظن بالسنة، حيث يقول: «كثيرٌ من اعتراضات المستشرقين مبنيٌّ على فرضيات مسبقة لا على بحث علمي، ثم يأتي بعض الكُتّاب المقلّدين فينقلونها كما هي».[79]

لذلك، فإن مواجهة الطعن في السنة يتطلب نهجًا مزدوجًا إصلاحًا علميًا داخليًا لمعالجة القصور المنهجي، واستراتيجية إعلامية وثقافية لمواجهة التأثيرات الخارجية.

■ **المبحث الثالث :الأهداف والآثار وسبل المواجهة**

● **المطلب الأول: الأهداف من وراء الطعن في السنة النبوية.**

أ - نزع القداسة عن النصوص الشرعية:

يُعتبر نزع القداسة عن النصوص الشرعية أحد الأهداف الجوهرية للطاعنين في السنة النبوية، وهو هدف مركزي يسعى إلى تقويض السلطة الشرعية للنصوص المروية عن النبي

صلى الله عليه وسلم, ويتمثل هذا الهدف في محاولة جعل السنة في نظر الجمهور مجرد نصوص بشرية قابلة للتحريف، أو محتوى عادياً لا يُلزَم المسلم باتباعه، وهو ما يُسِهّل قبول الأفكار الحداثية أو العقلانية المطلقة على حساب الالتزام المنهجي بالنصوص الشرعية, ويظهر أثر هذا الهدف في الخطاب الطاعن على مستويات متعددة:

1. التشكيك في الثبوت: يشمل إنكار صحة بعض الأحاديث، أو الطعن في الرواة والسند، ولو كانت مضبوطة وفق منهج علماء الحديث.
2. التشكيك في الدلالة: يزعم الطاعنون أن الأحاديث، وإن كانت صحيحة، فهي تخالف العقل أو الواقع، أو أنها قابلة للتأويل بلا حدود.
3. التشكيك في الحجية: يروجون لفكرة أن السنة ليست مصدرًا مستقلًا للتشريع، وأن القرآن وحده كافٍ، وهو ما يقلّص قدسية النصوص المروية.

وقد أبرز مصطفى السباعي هذا الهدف في قوله: «إنّ الهجوم على السنّة يهدف إلى تحطيم مقامها في قلوب الناس، وإزالة قدسيتها، بحيث تصبح كغيرها من النصوص البشرية التي لا يلزم الالتزام بها».[80] وقد أشار الدكتور عبد الله جواد إلى أن الطاعنين يسعون إلى: «عرض السنة على أنها نصوص قابلة للاختيار الفردي، وليست ملزمة، ما يسهّل التسويغ لآراء شخصية أو عقلية على حساب المنهج الشرعي».[81] ويعزز هذا الرأي المستشرق جولدتسيهر، الذي قال:«السنّة، في دورها السلطوي، بُنيت تدريجيًا وأُحاطت بالتقديس كمصدر مقدس، لكن كثيرًا من محتواها يعكس تفسير البشر أكثر مما يعكس تعليم النبي المباشر.»[82]

- ونستطيع القول إن هذا الطعن يهدف إلى الآتي:

1. الهدف النفسي والسلوكي: حيث يُنشئ الطاعن حالةً من اللامبالاة لدى المسلمين تجاه السنة، بحيث يصبح الالتزام بالنصوص اختياريًا, كما يسعى إلى خلق فجوة بين الفرد والموروث الشرعي، ما يسهّل ظهور تيارات حديثة تعتمد العقلانية المطلقة أو التفسير الانتقائي للنصوص.
2. الأثر الفكري والاجتماعي: يؤدي إلى إضعاف المرجعية الشرعية التقليدية، حيث

يُنظر إلى علماء الأمة ورجالاتها على أنهم مجرد بشر ارتكبوا أخطاء أو اختلقوا روايات، يتولد عن ذلك إرباك منهجي لدى الباحثين والطلبة الجدد في فهم السنّة، ويزيد من احتمال الانحراف في تفسير النصوص.

3. البعد الفكري: ويقوم على اعتماد بعض المتأثرين بالفكر الغربي على منهجيات نقدية مستوردة، دون ربطها بالمنهج الإسلامي في توثيق الحديث .

ب- عزل الأمة عن مصدرها التشريعي الثاني.

يُعتبر عزل الأمة عن مصدرها التشريعي الثاني، وهو السنة النبوية، هدفًا رئيسيًا للطاعنين، إذ يسعى هذا الهدف إلى إبعاد المسلمين عن الموروث التشريعي الكامل بعد القرآن الكريم، وجعل الأمة تعتمد فقط على نصوص القرآن دون تفسير السنة أو اتباعها, ويترتب على ذلك عدة نتائج:

1. إضعاف المرجعية الشرعية: عند عزوف الأمة عن السنة، تصبح المرجعية الشرعية مقتصرة على فهم محدود للقرآن، ما يؤدي إلى تشتت الفقهاء وغياب المصداقية العلمية. وقد أشار الدكتور يوسف القرضاوي إلى أن: «تجاهل السنة في التشريع يخلق حالة فراغ فقهي، ويُسهل على التيارات الفكرية إعادة تفسير النصوص حسب أهوائها».[83]

2. إضعاف الالتزام بالمنهج النبوي: يُظهر الطاعنون أن الالتزام بالسنة ليس ضروريًا، وهذا يقلل من تطبيق القيم والأحكام العملية المنبثقة من السنة.

3. تسهيل استبدال التشريع الاسلامي بالمناهج الوضعية: عندما تُحجم الأمة عن الاستناد إلى السنة، يصبح الفضاء مفتوحًا أمام المناهج الوضعية أو العقلانية المطلقة، التي تعتمد على اجتهادات شخصية أو معايير اجتماعية بديلة عن النصوص الشرعية, وقد نبه الدكتور مناع القطان إلى أن: «الابتعاد عن السنة يتيح لمنهج الوضعية أن يحل محل المرجعية التقليدية، ويصبح له تأثير على الفكر والتطبيق الديني».[84]

ج - إضعاف سلطة الوحي لصالح المناهج الوضعية

يهدف الطاعنون في السنة إلى إضعاف سلطة الوحي التشريعي كاملةً لصالح مناهج عقلية أو وضعية، من خلال التقليل من مكانة السنة كمصدر أساسي للتشريع بعد القرآن، ورفع مكانة الاجتهاد الشخصي أو القواعد الوضعية فوق النصوص الموثوقة, لتحقيق الآتي:

1. تقديم المنهج العقلي كبديل: يسعى الطاعنون إلى تصوير السنة على أنها غير ضرورية للرجوع إليها في التشريع، وأن العقل الفردي أو القواعد الوضعية قادرة على تفسير الشرع، وهو ما يؤدي إلى تقليل الاعتماد على النصوص المروية.
2. استبدال الاجتهاد الشرعي المنضبط بالاجتهاد الشخصي: يخلق هذا الهدف بيئة يسهل فيها تطبيق الآراء الفردية على حساب نصوص الوحي، بما يؤدي إلى تشويه فهم الأحكام الشرعية وتناقضها, وقد ذكر الدكتور مناع القطان أن: «عدم الالتزام بالسنة يجعل الاجتهادات الفردية الموجهة بالمصالح أو التوجهات الاجتماعية أكثر قوة من النصوص الشرعية».[85]
3. إضعاف الوحدة الفكرية للأمة: عندما تُرفع المنهجية الوضعية أو العقلية المطلقة فوق النصوص الواردة في السنة، فإن التفسير يصبح متفرقًا ومفتوحًا على اجتهادات متباينة، مما يؤدي إلى تشتت الرؤية الشرعية في الأمة. وقد أشار الدكتور يوسف القرضاوي إلى: «غياب السنة عن دائرة التشريع يسهل ظهور تيارات متعددة تتبنى أهوائها كمرجعية، وهو ما يضعف السلطة الموحدة للوحي».[86]

• المطلب الثاني: الآثار المترتبة على الطعن في السنة النبوية

أ- تشكيك الأجيال الجديدة في السنة النبوية

يُعتبر تشكيك الأجيال الجديدة في السنة النبوية من أبرز آثار الطعن المستمر في النصوص المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويظهر هذا التأثير في ثلاثة مستويات:

1. إضعاف الثقة بالنصوص الشرعية: الطعن المستمر يجعل الشباب والمتعلمين يتساءلون عن صحة الأحاديث ودقة الرواة، ما يخلق حالة من الريبة والتردد في الالتزام بالسنة.

وقد بين الدكتور مصطفى عبد الرازق أن: «غياب الثقة في السنة يقود إلى اعتماد الفرد على الفهم الشخصي، مع ما يصاحبه من تحريف أو اجتهادات غير مضبوطة».[87]

2 . انتشار الفكر المنحرف: حيث يؤدي الطعن إلى ظهور تيارات منحرفة، تقتصر على القرآن فقط، وتعتبر السنة غير ملزمة في التشريع في العبادات والمعاملات. وقد أشار الدكتور عبد الكريم زيدان إلى أن: «الاعتماد على القرآن فقط دون السنة ينتج تيارات تفهم الدين جزئيًا، مع تجاهل السياق الكامل للتشريع النبوي».[88]

3. تدهور الوعي الديني المنهجي: تشكيك الأجيال يجعل الشباب أكثر عرضة لتقبل التفسيرات السطحية أو المستوردة من خارج المنهج الإسلامي، سواء من خلال الإعلام الرقمي أو الكتب والمقالات غير الموثوقة. وقد لاحظ الدكتور علي جمعة أن: «الشباب الذين يفتقدون الفهم المنهجي للسنة يصبحون عُرضة للشبهات الفكرية، مما يؤدي إلى ضعف المناعة العلمية والفكرية تجاه محاولات الطعن».[89]

• لمواجهة هذا الأثر، ينبغي:

1. تعزيز المناهج التعليمية الحديثية في المدارس والجامعات.

2. إنتاج محتوى علمي رقمي متناسب مع لغة الشباب، موضحًا مكانة السنة وأهميتها في التشريع والتربية.

3. توضيح منهج النقد العلمي الإسلامي في تحديد الصحيح والضعيف، لإعادة بناء الثقة بالنصوص الموثوقة.

ب - اضطراب المرجعية الشرعية :

يُعد اضطراب المرجعية الشرعية من أبرز الآثار الناتجة عن الطعن في السنة النبوية، حيث يؤدي إلى تشتت الفقهاء والعلماء، وتباين الرأي بين المجتهد والمجتمع، وغياب وحدة المنهج الشرعي, ويظهر أثره في المستويات التالية:

1. تعدد المرجعيات وتباين الفتاوى: عندما يُهمل اتباع السنة، يصبح المجال مفتوحًا لتعدد التفسيرات والتأويلات المختلفة، ويفتقد العلماء والمؤسسات الدينية القاعدة مشتركة .

2. التشكيك في مصداقية الفقهاء والعلماء: حيث يؤدي الطعن إلى التشكيك في مصداقية العلماء ، ليُنظر إلى اجتهادهم على أنه مجرد آراء شخصية، ما يضعف قدرتهم على ضبط السلوك الديني والاجتماعي.

3. تأثير الطعن على الفهم الجماعي للشرع: يؤدي اضطراب المرجعية إلى إرباك المجتمع في فهم الأحكام الشرعية وتطبيقها، وخاصة فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات، ويخلق فجوة بين الأجيال القديمة والحديثة في مستوى الالتزام والفهم.

ولمواجهة هذا الأثر يستلزم الآتي:

1. توحيد الموقف العلمي للعلماء في التعامل مع الأحاديث، خاصة الضعيفة والموضوعة، بما يعزز مصداقية المرجعية الشرعية.

2. تقوية المؤسسات التعليمية والدعوية لتعليم الأجيال منهج النقد العلمي للحديث.

3. توفير محتوى رقمي وإعلامي موثوق يدعم الفهم السليم للشرع ويحد من الفوضى الفكرية.

ج - انتشار الفكر المنحرف وتيارات «الإصلاح الديني»

يعد انتشار الفكر المنحرف وتيارات ما يُسمى بـ «الإصلاح الديني» من أبرز آثار الطعن في السنة النبوية، إذ يسعى الطاعنون إلى:

1. تقييد التشريع في القرآن فقط دون السنة: يسعى الطاعنون إلى ظهور اتجاهات تكتفي بالاعتماد على القرآن في الأحكام الشرعية، وتغفل المصدر الثاني للتشريع، وهو السنة، ما يولد فجوة في الفهم التطبيقي للشريعة.

2. إضعاف الالتزام بالمنهج النبوي الكامل: فهذه التيارات غالبًا ما ترفض أو تقلل من قيمة السنة، ما يؤدي إلى اضطراب الفهم الشرعي في العبادات والمعاملات والأخلاق.

3. تأثير الإعلام والمنصات الرقمية: يلعب الطاعنون دورًا في نشر هذه التيارات عبر وسائل الإعلام الحديثة والمنصات الرقمية، مما يزيد من انتشار الفكر المنحرف لفهم الشريعة.

وانتشار الفكر المنحرف يمثل خطرًا مزدوجًا, فكريًا على وعي الأجيال الجديدة، وعمليًا على التطبيق الشرعي, وإن هذه الظاهرة تُظهر أهمية حماية السنة النبوية وإعادة تأكيد دورها في التشريع، لضمان فهم متكامل ومتوازن للشريعة.

■ **الخاتـمـة** :

ونستطيع القول إن هذه الدراسة قد خلصت إلى الآتي:

أولاً: أهم نتائج البحث :

1. إن السنة النبوية ظلت هدفًا للطعن منذ القرون الأولى، إلا إن الطعن المعاصر أكثر شدة واتساعًا، بسبب تأثير المناهج الغربية الحديثة والفضاء الإعلامي الرقمي.
2. إن الطعن في العصر الحديث اتخذ ثلاثة مسارات: (في السند، والمتن, والطعن في الدلالة بتأويل النصوص ورد معانيها)
3. إن المناهج الاستشراقية كانت المنبع الفكري الأكبر للطعن الحديث في السنة، وقد انتقلت أفكارهم إلى كثير من البُحاث العرب عبر الترجمة والتعليم الغربي.
4. إن الضعف العقدي في فهم حجية السنة، واعتبارها مجرد نصوص تاريخية، يمثل سببًا جوهريًا في تبني الطعن المعاصر.
5. إن وسائل الإعلام والمنصات الرقمية أصبحت البيئة الأخطر لنشر الطعون؛ نظرًا لسرعة الانتشار وسرعة التأثير، واعتماد الخطاب الساخر والعاطفي لا الخطاب العلمي.
6. إن الدوافع النفسية والثقافية للطعن لها أثر بالغ في انتشار الأقوال الشاذة، خاصة بين غير المتخصصين.
7. إن الطعن في السنة يؤدي إلى آثار خطيرة على الوعي الإسلامي، من خلال تشكيك الأجيال في مصادر الشريعة, و زعزعة الثقة بالعلماء وإضعاف المرجعية التشريعية.

● **ثانيًا: أهم التوصيات:**

1. العناية بإحياء منهج المحدثين في الجرح والتعديل ونقد المتون، وإبرازه بلغة معاصرة يفهمها الجيل الحالي، مع توضيح دقته وموضوعيته العلمية.
2. تطوير مناهج تدريس الحديث النبوي في الجامعات والمعاهد، بحيث تجمع بين دراسة المصطلح وتحليل الشبهات الحديثة، وربط الطلاب بالمصادر الأصلية.
3. إنشاء منصات علمية رقمية موثوقة متخصصة في الرد على الطعون، تقدم محتوى مختصرًا ودقيقًا يناسب جمهور الإعلام الرقمي، وتُفند الشبهات بطريقة علمية تواكب العصر.
4. تعزيز دور العلماء والدعاة والمفكرين في الظهور الإعلامي، بهدف تفسير السنة والدفاع عنها بلغة هادئة وعلمية، بعيدًا عن الانفعال أو التعميم.
5. دعم البحوث المتخصصة التي تَدرس أثر الاستشراق والحداثة في تشكيل الخطاب المعاصر حول السنة، وتقديم بدائل علمية رصينة.
6. الاهتمام بحماية الوعي الديني الرقمي من خلال إنتاج محتوى جذاب يبرز مكانة السنة، ويقدم نماذج تطبيقية من جهود العلماء في الحفاظ عليها.
7. تعزيز التكامل بين المؤسسات العلمية والإعلامية في مواجهة موجات التشكيك، وإيجاد آلية مشتركة لرصد الشبهات ومعالجتها بطرق علمية.

■ **الهوامش**

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة: طعن، دار صادر، بيروت، ج13، ص 251.

2 - الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1989م، ص 134.

3 - ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، دار الفكر، بيروت، ص 25.

4 - محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، مكتبة دار السلام، الرياض، ط3، 1998م، ص 19.

5 - ابن الجوزي، الموضوعات، دار الفكر، بيروت، ج1، ص 42.

6 - ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، دار الجيل، بيروت، ط2، 1972م، ص 12.

7 - محمد محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة، دار الجيل، بيروت، ط2، 1989م، ص 27.

8 - (John Montgomery, The Critical Study of Hadith, London: Oxford Press, 1965, p. 23.

9 - محمد أحمد شاكر، دراسات في السنة ومكانتها، دار الفكر، القاهرة، 1999، ص 45.

10 - Richard Bell, Introduction to the Hadith, London, 1971, p. 52

11 - ابن ماجه، كتاب البدء، كتاب الحدود، باب ما جاء في المنع من الضرر ، حديث رقم 2340, دار طيبة، ج2، ص 850.

12 - صحيح البخاري، كتاب الحدود، كتاب الجهاد والسير,مابحل من دماء أهل الذمة, حديث رقم 3166، دار الفكر، ج9، ص 240

13 - مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق، ط4، 1998م، ص 11.

14 - فهد بن عبد الرحمن الرومي ,موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ، مكتبة التوبة، ط2، 1995م، ص 89.

15 - انظر: محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، دار الجيل، بيروت، ط2، 1989م، ص 72–74 .

16 - عماد الدين خليل الاستشراق والمستشرقون وما يعنونه بالإسلام، ، دار عمار، عمّان، ط3، 2003م، ص 214.

17 - د محمد الصباغ، راسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2000م، ص 144.

18 - مصطفى السباعي, السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق، ص 15.

19 - أحمد الريسوني، الفكر الإسلامي وقضية التجديد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1996م، ص 173.

20 - محمد أبو شهبة ,دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، دار الجيل، بيروت، ط2، 1989م، ص 115.

21 - جولد تسيهر، دراسات إسلامية، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م، ج 2، ص 17؛

22 - مصطفى السباعي .السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق، ط4، 1998م، ص 45 .

23 - جوزيف شاخت، أصول الشريعة الإسلامية، ترجمة صبحي الصالح، ط. دار العلم للملايين، ص4-5.

24 - عماد الدين خليل ,الاستشراق والمستشرقون وما يعنونه بالإسلام، دار عمار، عمّان، ط3، 2003م، ص 267.

25 - فهد الرومي, موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ص 198.

26 - محمد أبو شهبة, دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، دار الجيل، ص 118.

27 - مناع القطان، مباحث في علوم الحديث، مكتبة المعارف، الرياض، ط13، 2001م، ص 36.

28 - إغناز جولد تسيهر، دراسات إسلامية، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م، ص1.

29 - محمد عمارة، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1992م، ص 145.

30 - نور الدين عتر, منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، ط4، 2000م، ص 58 .

31 - عماد الدين خليل، الاستشراق والمستشرقون وما يعنونه بالإسلام، دار عمار، عمّان، ط3، 2003م، ص 312.

32 - محمد بن حمود الهدلق, شبهات الطاعنين في السنة النبوية والرد عليها، الرياض، ط1، 2017م، ص 204.

33 - عبد الله القرني، التقنية والهوية الدينية في العالم الرقمي، مركز دراسات الإسلام المعاصر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 2023م، ص 91

34 - عماد الدين خليل ,الاستشراق والمستشرقون وما يعنونه بالإسلام، عماد الدين خليل ,دار عمار، ص 318,

35 - تقرير مركز رؤية، تحليل الخطاب الرقمي المعادي للسنة النبوية، القاهرة، 2022م، ص 7–9.

36 - محمد عمارة, الإسلام والتحدي الإعلامي، محمد عمارة, دار الشروق، القاهرة، ط1، 2005م، ص 64.

37 - سامية الزين, الدين والجندر في الخطاب الرقمي العربي، سامية الزين, المركز العربي للأبحاث، بيروت، ط1، 2021م، ص 112 .

38 - مناع القطان، مباحث في علوم الحديث، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط13، 2001م، ص 41.

39 - نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط4، 2000م، ص 61.

40 - فهد الرومي، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، مكتبة التوبة، الرياض، ط2، 1995م، ص 251.

41 - دراسة تحليلية لخطاب الطعن في السنة على الإنترنت، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 102، 2021م، ص 54.

42 - انظر: محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، ط. دار اللواء، الرياض، 1409هـ، ص 188.

43 - انظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط. دار المعارف، القاهرة، 1956م، ص

24؛ وانظر كذلك: محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ط. دار الشروق، القاهرة، 1996م، ص 114.

44 - عبد الرحمن المعلمي، الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، ط. المطبعة السلفية، القاهرة، 1378ه، ص 12.

45 - سورة النجم: الآية: 3– 4 .

46 - الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، ط. دار التراث، القاهرة، 1399ه، ص 78.

47 - طه حسين، في الشعر الجاهلي، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1926م، ص 15.

48 - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403ه، ج2، ص 80.

49 - ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط. دار الجيل، بيروت، 1973م، ج1، ص 31.

50 - وهي كلمة يونانية الأصل تعني فن التأويل او تفسير النصوص، وهي هنا تعني : أن فهم النصوص والمعاني لايتم إلا عبر التأويل.أي من خلال إدراك العلاقة بين النص والقارئ والسياق التاريخي والثقافي.

51 - انظر: محمد أركون، قراءات في القرآن، ترجمة هاشم صالح، ط. دار الطليعة، بيروت، 2001م، ص 112.

52 - ابن عبدالبر ,جامع بيان العلم وفضله, تحق: ابو الاشبال الزهيري, دار ابن الجوزي, ج2, ص .91

53 - الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، ط. دار التراث، القاهرة، 1399ه، ص 507.

54 - الشاطبي، الاعتصام، ط. دار المعرفة، بيروت، 1405ه، ج1، ص 268.

55 - جولد تسيهر، دراسات إسلامية، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م، ج2، ص 42

56 - وجوزيف شاخت، أصول الشريعة الإسلامية، ترجمة صبحي الصالح، ط. دار العلم للملايين، ص56,

57 - محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ط. دار السلام، الرياض، 1424ه/2003م، ص 72.

58 - مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص 106.

59 - محمد عمارة، الإسلام والسلطة الدينية, ط. دار الشروق، القاهرة، 1997م، ص 144.

60 - ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، تحقيق نور الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 6، 1421ه/2000م، ص 63.

61 - (جوزيف شاخت، أصول الشريعة الإسلامية، ترجمة طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط 2، 1995م، ص 53.

62 - - أنظر: طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 7، 1967م، ص 25.

63 - محمد عمارة، الإسلام والتجديد بين الآصالة والمعاصرة، دار الشروق، القاهرة، ط 3، 1998م، ص 112.

64 - جاك بيرك، العرب بين الأمس والغد، ترجمة عفيف بهنسي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ص 214.

65 - محمد أبو زهرة، السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1377هـ/1958م، ص 14.

66 - مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 5، 1398هـ/1978م، ص 23.

67 - عبد المتعال الصعيدي، المجددون في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1951م، ص 175.

68 - انظر : النجار، الفكر الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2012م، ص213.

69 - مركز دراسات المحتوى الرقمي، تقرير الحالة الدينية في المنصات الاجتماعية 2023م، جامعة الملك سعود، الرياض، ص58.

70 - Pew Research Center, Social Media and Religion in the Middle East, 2021, p. 14، Washington D.C. .

71 - يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 4، 1992م، ص 27.

72 - عبد الله بن سعيد الغامدي، الإعلام والقيم الدينية: دراسة تحليلية ميدانية، دار عالم الكتب، الرياض، ط 1، 1427هـ/2006م، ص 219.

73 - انظر: مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط5، 1398هـ/1978م، ص27.

74 - الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الرياض: دار ابن عفّان، ط1، 1412هـ، ج1، ص112.

75 - ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1399هـ، ج1، ص165

76 - السباعي، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، القاهرة: دار الاعتصام، ط3، 1398هـ، ص104.

77 - أبو زهرة، الحديث والمحدثون، القاهرة: دار الفكر العربي، بلا تاريخ، ص233.

78 - السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دمشق: المطبعة الجديدة، ط3، 1961م، ص 15.

79 - المعلمي اليماني، الأنوار الكاشفة، المكتبة السلفية،مكة، ط1، 1377هـ، ص 7

80 - مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دمشق: المطبعة الجديدة، ط3، 1961م، ص22 .

81 - عبد الله جواد، نقد السنة بين الواقع والمنهجية، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 2004م، ص52.

82 - إغناز جولد تسيهر، دراسات إسلامية، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م، ج 2، ص 39.

83 - يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، القاهرة: دار الشروق، ط10، 2001م، ص23.

84 - مناع القطان، مباحث في علوم الحديث، الرياض: مكتبة المعارف، ط10، 1426هـ، ص425.

85 - مناع القطان، مباحث في علوم الحديث، الرياض: مكتبة المعارف، ط10، 1426هـ، ص430.

86 - يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، القاهرة: دار الشروق، ط10، 2001م، ص28.

87 - مصطفى عبد الرازق، المبادئ الأساسية في علوم الحديث، القاهرة: دار المعرفة، ط2، 1999م، ص112.

88 - عبد الكريم زيدان، الإصلاح الديني والمنهج الحديثي، عمان: دار الفكر، ط1، 2005م، ص45.

89 - علي جمعة، تربية الشباب على المنهج الحديث الصحيح، القاهرة: دار ابن حزم، ط1، 2010م، ص92.